

## البصمة الموريسكية في مجالي الفن و العمران

### بالجزائر العثمانية.

أ: بليل رحمونة(\*)

صاحب سقوط الحواضر الإسلامية الأندلسية الواحدة تلو الأخرى هجرة أندلسية واسعة نحو ديار الإسلام خاصة باتجاه (المغرب الإسلامي)، و تظهر أول هجرة مبكرة إثر سقوط سرقسطة ٥١٢ هـ / ١١٢٠-١١٢١ م التي استقر مهاجروها في أعالي مدينة الجزائر بحي الثغوريين Taggarins<sup>(١)</sup> الذي لا زال يحمل اسمهم إلى يومنا هذا. ثم جاء سقوط بياسة و أبدة في ١٢٣٥ م و قرطبة عام ١٢٣٦ م، و بلنسية في ١٢٣٨<sup>(٢)</sup> أما مرسية فكان في ١٢٤٣ م، و إشبيلية في ١٢٤٤<sup>(٣)</sup>، ولم يبق سوى غرناطة التي قاومت السقوط أزيد من قرنين من الزمن إلى غاية ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢<sup>(٤)</sup> و بسقوطها خسر المسلمون موقع استراتيجي و حضاري متقدم في أوروبا.

(\*) جامعة مصطفى اسطبولي: معسكر/الجزائر

(1) Brahimi Denise : « Quelques jugements sur les maures andalous dans les régences Turques au XVII° siècle ». R.H.C.M. Alger , Juillet 1970 , p41.

(٢) شيارو عصام محمد . الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (٩١-٨٩٧ هـ / ٧١٠-١٤٩٢ م) . بيروت : دار النهضة العربية ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٧٤ .

(٣) شبارو عصام . نفس المرجع ، ص ٢٧٢ .

(4) Sinan – chaouch. Fondation de la régence d'Alger . Histoire des frères Barberous « Arroudj et Kheir-Ed-Din ». Traduction de Jean-Michel Venture de paradis .Alger : GAL , 2006 , p 106,177.

كانت بعض المدن الجزائرية مراكز لاستقطاب للمهاجرين الأندلسيين كإقليم المتيجة وبجاية وهران وتلمسان وغيرها من الحواضر المغربية، ولعل أهم موجات الهجرة كانت بعد سقوط غرناطة إذ ساهم خير الدين بربروس في نقل العديد من الأندلسيين المسلمين بسبع رحلات لنقل سبعون ألف لاجئ إلى مدينة الجزائر<sup>(٥)</sup> بعد معاناتهم من السلطات الإسبانية وحاكم التفتيش.

كما تزايدت الهجرة نحو شواطئ المغرب الإسلامي نتيجة لسياسة العنف والاضطهاد الإسبانية ضد المسلمين الأندلسيين إذ أصدرت الملكة إيزابيلا الكاثوليكية في محرم ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م أمرا يحرم على الموريسكيين ممارسة أي عمل يمت إلى عقيدتهم أو لغتهم بصلصة<sup>(٦)</sup> ليأتي في السنة الموالية في شعبان ٩٠٧هـ/ فيفري ١٥٠٢م مرسوما يخير هؤلاء الموريسكيين بين التنصير أو الرحيل<sup>(٧)</sup>، فرحل نتيجة ذلك و في هذه المدة حوالي ثلاثمائة ألف شخص، وتعددت المراسيم التعسفية

(٥) الشطشاط. نفس المرجع. ص ٥٥-٥٦: يقول الشاعر أبو الطيب صالح بن شريف الزندي ... عن سقوط الحواضر الأندلسية:

فأسأل بلنسية ما شأن مرسية

وأين شاطبة أم أين جيان

و أين قرطبة دار العلوم فكم

من عالم قد سما فيها له شأن

على ديار من الإسلام خالية

قد أقفرت و لها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس

فيهن إلا نواقيس و صلبان

حتى المحاريب تبكي و هي جامدة

حتى المنابر ترثي و هي عيدان

(٦) طقوش سهيل محمد . تاريخ المسلمين في الأندلس . بيروت : دار النفائس ، ٢٠١٠ . ص ٦١٦ .

(٧) طقوش سهيل . نفس المرجع ، ص ٦١٦ .

ضد الموريسكيين طيلة هذه المدة، إذ أصدر فيليب الثاني\* المتعصب العديد من المراسيم أخطرها مرسوم ١٥٦٦ الذي يمنعهم من استعمال اللغة العربية.

تواصلت موجات الهجرة الأندلسية باتجاه العدو الجنوبية خاصة بعد صدور قرار الطرد النهائي و الطرد الجماعي، بموجب ما يعرف بمراسيم الطرد التي أصدرها فيليب الثالث\* في ١٦٠٩ لأسباب سياسية و دينية و بتأثير من وزيره فرانسيسكو جومز دي ساندوفال دوق ليرما<sup>(٨)</sup> وهو من أشد أنصار التخلص من الموريسكيين و أعدت العديد من السفن لنقل المطرودين خارج بلادهم فيقول السلاوي :

" ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الأندلس ،

خرجت

ألوف منهم بفاس و ألوف أخرى بتلمسان و

وهران..."<sup>(٩)</sup>

• التأثير الديمغرافي للهجرة الأندلسية:

أدت الهجرات المتتالية للأندلسيين إلى ارتفاع

\* فيليب الثاني: من ٢١ مايو ١٥٢٧ إلى سبتمبر ١٥٩٨، اعتلى العرش في ١٥٥٦ م. عمل على تعزيز مكانة إسبانيا السياسية والعسكرية، ورط إسبانيا في حروب ضد الدولة العثمانية ما بين ١٥٧١-١٥٧٨، و كذلك ضد انكلترا ما بين ١٥٨٨-١٦٠٤. بلغت في عهده محاكم التفتيش ذروتها، كما نقل فيليب الثاني البلاط الملكي من طليطلة إلى مدريد في ١٥٦١ م.

فيليب الثالث: ١٤ أبريل ١٥٧٨ - ٣١ مارس ١٦٢١، أصدر مرسوماً بطرد الموريسكيين من إسبانيا بإيعاز من كبير أساقفة بالنسية خوان دي ريبيرا، بعد اتهامهم بالبقاء على الدين الإسلامي ومساعدة مجاهدي البحر في غاراتهم على سواحل إسبانيا.

(٨) طقوش سهيل . المرجع السابق، ص ٦١٨ .

(٩) الناصري أحمد بن خالد. كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء الرابع، تحقيق أحمد الناصري (الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة) ٢٠٠١، ص ٣٠٨ .

عدد سكان مدينة الجزائر من ٢٥ ألف نسمة سنة ١٥١٨ إلى سبعين ألف سنة ١٥٨٠ ، ليرتفع إلى ما بين مائة ألف و مائة و عشرون ألف سنة ١٦٣٤ ، فقد قدر هايدو Haedo عددهم بما لا يقل عن خمسة و عشرون ألف نسمة ، مما اضطر حكام الجزائر تحويلهم إلى الأرياف المجاورة لتخفيف الضغط على مدينة الجزائر.

لقد تم نقل في المدّة ما بين شهري أكتوبر و نوفمبر ١٦٠٩م نحو ١٦٠٢٢ مسلم من أقاليم الأندلس، فقد خرجت أول دفعة من ثغر دانية و الثغور القريبة منها حتى بلغ عددهم نحو ثمانية وعشرين ألف شخص<sup>(١٠)</sup>، وكذلك عن طريق مراسي ألداء، و قووا و نوفيلد و كاستيلون، فكان نصيب وهران وحدها ١٢٠٠٠ فضاقت بهم شوارعها فاتجه فريق منهم مابين خمسة و ستة آلاف شخص نحو تلمسان<sup>(١١)</sup>.

فكانت تلمسان من أهم المناطق التي استقبلت الأعداد الهائلة للمهجرين الأندلسيين فكانت أرض استقبال و مقصدا لهم ، ويعود ذلك للروابط القديمة ، فمنذ سقوط الموحدين و انكماش دولة بني الأحمر بغرناطة، و إتباع ملوك بني زيان سياسة حسن الجوار مع حكام الأندلس للوقوف في وجه الأطماع التوسعية المرينية و الحفصية على السواء.

شجع هذا التقارب السلطان أبا عبد الله

محمد الخامس\* ملك غرناطة على إرسال وفد إلى تلمسان سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١ يطلب العون من السلطان الزياني أبو موسى الثاني\*\* وعلى رأس الوفد إبراهيم بن الحاج الذي نجح في مهمته و تحصل من السلطان الزياني على خمسين ألف قرح من الزرع و ثلاثة آلاف قطعة من الذهب لكراء السفن و شحنها إلى الأندلس<sup>(١٢)</sup>، في نفس السياق و في نطاق الصلات الودية بين تلمسان و الأندلس فقد فضل السلطان النصري أبو عبد الله الزغل وحاشيته تلمسان دارا للهجرة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، عندما أوشكت غرناطة على السقوط بيد الإسبان و قد لبث عقبه هناك عصورا يعرفون ببني سلطان الأندلس<sup>(١٣)</sup> في حين يرى الأستاذ " طمار " أن أبا

\*-محمد الخامس (أبا عبد الله): ٧٥٥-٧٩٣هـ/ ١٣٥٤-١٣٩١م . حكم طيلة أربع و ثلاثين سنة و اضطر خلال ثلاث سنوات (١٣٥٩-١٣٦٢) إلى الفرار مع وزيره لسان الدين بن الخطيب نحو فاس بعدما استولى أخوه إسماعيل بن يوسف ، حيث استقبله السلطان المريني أبو سالم إبراهيم المريني. عن شبارو عصام. المرجع السابق ، ص ٢٨٥.

\*\* أبو حمو موسى: تولى الحكم ٧٦٠-٧٩١هـ/ ١٣٥٩-١٣٨٩م الذي أسهم في تطوير تلمسان ، فيقول فيه أبو عبد الله بن أبي جمعة التلاليبي :

به شيخنا المذكور في الأرض ذكره

أبو مدين أهلا به دائما أهلا

ولا عجب إن كنت في الحسن هكذا

"موسى" الإمام المرتضى فيك قد حلا

إمام عباد الله ملكا مؤزرا

فلا ملك إلا لعزة ذلا

عن : طمار محمد بن عمرو. تلمسان عبر العصور .

(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤) ، ص ص

١٦٦-١٦٩.

(١٢) سعيدوني ناصر الدين . المرجع السابق، ص ١٩.

(١٣) الشطشاط علي حسين . نهاية الوجود العربي في

الأندلس. (القاهرة ، دار أنباء للطباعة و النشر، ٢٠٠١) ،

ص ٦٦.

(١٠) طقوش سهيل. المرجع السابق ، ص ٦١٨.

(١١) سعيدوني ناصر الدين . دراسات أندلسية . نضاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر . (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٣) ، ص ٢٥. عن يحيى بن خلدون . بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد. تحقيق عبد الحميد حاجيات. الجزائر، ١٩٨٠، الجزء الثاني، ص ١٤٤.

عبد الله الزغل اضطر إلى مغادرة بلاده في ١٤٩٠ إذ نزل بوههران ومن ثم إلى تلمسان عاش بها حيث حظي باستقبال الثابتي ودفن بها بالمقبرة الموازية للمسجد الجامع أين عثر بروسيلارد Brousselard على رجمة قبره<sup>(١٤)</sup>.

في حين رحل سلطان غرناطة المنهزم محمد بن علي النصري آخر ملوك بني الأحمر إلى المغرب و نزل بميناء مليبية شمال المغرب الأقصى ثم اتجه إلى فاس سنة ١٤٩٣ إذ عاش وأهله إلى أن توفي بها سنة ١٦٣٣ م<sup>(١٥)</sup>.

شكل الأندلسيون فئة اجتماعية متميزة عن غيرها بكونها أرقى معاملة وألطف سلوكا، لا يميلون إلى الاختلاط بغيرهم من السكان ولا يتزوجون خارج جماعتهم ميالين إلى التألق في اللباس، حريصين على النظافة متشبثين ببعض العادات كالاحتفال بالفتاح من يناير، إقامة مهرجان العنصرة، لبس الأبيض في الصيف والمآتم.

#### • التأثير الأندلسي:

ساهمت الجالية الأندلسية في مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فقد تمثلت الإسهامات الأندلسية اقتصاديا في تلك التقنيات الزراعية المتطورة التي جلبوها معهم إلى الجزائر وتحسين أنواع عديدة من الأشجار المثمرة كالجوز، اللوز وإدخال أنواع عدّة من الخضر والفواكه كالكرز، الكراث والملفوف...<sup>(١٦)</sup>.

#### ١- التأثير العمراني

كان للهجرة الأندلسية الأثر الإيجابي على العمارة والعمران في الجزائر، فقد ساهم استقرار

(١٤) طمار محمد . المرجع السابق ، ص ٢٢١.

(١٥) الشطشاط . المرجع نفسه ، ص ٦٧.

(١٦) سعيدوني . المرجع السابق ، ص ١٣٦.

الجالية الأندلسية بالجزائر إلى إعادة بناء المدن التي تخربت بإعادة تعميرها وتطويرها بوصفها مدينة شرشال التي امتك فيها مهاجرو غرناطة معظم منازلها فقد قدر عدد المنازل التي تعود للأندلسيين بـ ١٢ ألف وكذلك الأمر بالنسبة لتنس وجيجل<sup>(١٧)</sup>.

أما المدن التي أنشأها الأندلسيون مدينة البليدة التي أسسها سيدي أحمد الكبير ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م بعد أن أقطع خير الدين أراضيها للأندلسيين<sup>(١٨)</sup> فأخذت طابعا أندلسيا، وأنشأت جماعة المدجنين القادمين من قشتالة و ثغور بلنسية مدينة القليعة ٩٥٧ هـ / ١٥٥٥ م وهي تصغير لكلمة قلعة كدلالة على وظيفتها العسكرية.

وجعلوا من ميناء تامنفوست حصنا و قلعة لحماية الجزائر و انتقاما من الأاسبان ، كما نسب للأندلسيين إقامة حصن خارج باب الواد الذي ينسب إلى جماعة الثغريين و كذلك إقامة بطارية تعرف بطبانة الأندلسيين<sup>(١٩)</sup> بأعالي المدينة La Batterie des andalous \* .

كما ساهموا في إنشاء السواقي و تنظيم الري، فعين الحامة على سبيل المثال جلبت مياهها من طرف المهندس الأندلسي أسطا موسى في عهد مصطفى باشا ١٦١٠ / ١٦١٣ م<sup>(٢٠)</sup>.

(١٧) سعيدوني . نفس المرجع ، ص ٢٧.

(١٨) المرجع نفسه ٢٧.

(١٩) سعيدوني، المرجع السابق، ص ٣٠.

\* طبانة الأندلسيين: مجهزة بـ ١٤ مدفع لها ١٧ كرة منها ٩ تواجه البحر ، ٢ تقابل الناحية الجنوبية ، و ٤ تشرف على مدخل الميناء و ٢ تتحكمان في مدخل المدينة المعروف بباب الجزيرة . أنظر :

Devoulx, A : « La batterie des Andalous à Alger ». Revue Africaine, 1869, N° 13.

(٢٠) سعيدوني . المرجع السابق، ص ٢٨.

هذه الصناعة إذ اختصت هذه المدينة بصناعة الثريات و حوامل المصابيح التي يختلف صنعها عن المنتج النحاسي في قسنطينة و الجزائر من حيث الموضوعات الزخرفية التي حافظت على الأساليب الزخرفية الأندلسية و المغربية<sup>(٢٥)</sup>.

كانت تلمسان نموذج التأثير العمراني الأندلسي، إذ لازالت تحتفظ بهذا الموروث إذ نجد بصمة المهندس و الفنان الأندلسي لا سيما في العهد الرابطي و الموحي إذ كانت نموذج للطراز الأندلسي.

فمئذنة الجامع الكبير في تلمسان تشبه إلى حد كبير مئذنة جامع قرطبة إذ شيدت على قاعدة مربعة ارتفع بنيانها على هذه القاعدة و تنتهي في الأعلى بمربع صغير تحيط به شرفة يستطيع المؤذن أن يطل منها على المدينة و المسجد كله يشبه في تصميمه و زخرفته جامع قرطبة.

تزين محرابه تزيينا غنيا تعلوه قبتان جميلتا الصنع مستوحاة من قباب جوامع قرطبة، كما يتجلى الإلهام الأندلسي في الزخرف المؤطر للمحراب، فالعناصر النباتية هي نفسها في مسجد قرطبة و يقول مارسي: "إن العناصر التي يرسمها المزخرف التلمساني و كأنه أورهاها

أصبح المنزل الأندلسي أنموذجا في هندسة البناء بحيث أصبحت أغلب الدور تتألف من فناء تنفتح عليه الغرف و تتوسطه نافورة أو بئر أو به بعض الأشجار (شجرة الليمون أو البرتقال أو الكرمة) و يغطي سطوحه القرميد إذ يقول مارسي في هذا المجال:

"إن الفن الإسلامي المغربي تكون بالأندلس، فقد

غطت البلاطات القراميد بتلمسان وكذلك بقرطبة..."<sup>(٢١)</sup>

فقد أدخل الأندلسيون القرميد من الخزف و الزليج الملون<sup>(٢٢)</sup>، الذي اشتهر أندلسيو البليدة و الجزائر بصناعة نوع جيد من الخزف المزجج بالطلاء يستعمل في تليط المنازل و كساء الجدران<sup>(٢٣)</sup> بالإضافة إلى المجصصات و النقش خاصة بالنسبة للمؤسسات الدينية.

ومن الحرف التي اشتهروا بها و التي لها علاقة بالعمارة حرفة الخراطة إذ قدر عدد الخراطين في مدينة الجزائر في مطلع القرن ١٧م بـ ٤٦ خراط<sup>(٢٤)</sup> معظمهم من الأندلسيين الذين برعوا في النقش على الخشب و تجلى ذلك في صنع و نقش المناجر بأحسن أنواع الزخارف.

فأجمل الدور و القصور بنيت من طرف الأندلسيين الذين برعوا في الزخرفة بالذهب والأصباغ و الجبس، كما زينت المنازل بمنتجات نحاسية لأغراض مختلفة (المرشاة، الأطباق، الدلاء و القطارة\*...) و كانت تلمسان من أهم مراكز

(٢١) مارسي جورج. مدن الفن الشهيرة ص ٢٩.

(٢٢) سعيدوني. المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٢٣) نفسه، ص ١٥.

(٢٤) شويتام أرزقي. المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني ٩٢٦-١٢٤٦هـ/١٥١٩-١٨٣٠م، (الجزائر: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٩)، ص ٣٢٩.

\* القطارة: من لفظ قطر، تتكون من قدر و مقطرة، و هي خاصة لتحضير عطور الورد و الياسمين.

(٢٥) طيان ساهد شريفة: "النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة آثار، العدد ٠٨، سنة ٢٠٠٩، ص ٢٠٦.

-Anonyme. L'Artisanat algérien. Alger: ANEP, 1997, p28.

أشياخه أيام الخلفاء الأندلسيين" (٢٦) ويضيف أن الفن الإسلامي المغربي تكون بالأندلس و كان المهندس و الفنان المعماري التلمساني قد استلهم نموذجه من اسبانيا.

إن المجال العمراني و التأثيرات الأندلسية تجرنا إلى إشكالية الحواضر و التمدن في بلاد المغرب الإسلامي؟؟ و تجرنا إلى نوع من العمران الذي اشتهرت به الكثير من المدن الإسلامية و هو الرباط\* العمراني (٢٧) إذ يتجلى ذلك في حي العباد\* \*مدفن الصالحين و أهل الخير إذ يقول البلنسي :

"بظاهرها - تلمسان- في سند الجبل موضع يعرف بالعباد و هو مدفن الصالحين و أهل الخير به مزارات كثيرة و من أعظمها و أشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله، و عليه رباط مليح مخدوم مقصود الدائرة

(٢٦)مارسي جورج . المرجع السابق ، ص ٣١.

\* الرباط : لغة هو مكان اجتماع الفرسان تأهبا لرد الحملات التي تشن على الثغور ، و هو مكان ديني حربي اختصر به المسلمون ، و في تعريف الفقهاء هو احتباس النفس في الجهاد و الحرافة ، كما بعد مكانا للتعليم و العبادة بسبب أن المرابطين أغلبهم من العلماء و طلبة العلم و العباد . أنظر :

التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي. ( بيروت : دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٣ )، ص ص ٤١٢-٤١٣.

(٢٧) بلغيث أمين . ص ٥٢.

\* حي العباد: له دلالة الدينية مفرد عابد ، هناك حين العباد السفلي و العباد الفوقي ، يروى أنه مكان الالتقاء المتصوفة المنقطعين للعبادة و ملتقى تجمع العلماء والدارسين ، يحتوي على مدافق و رباط ، و مدفن الصلحان ، و تحولت أرضحة العلماء إلى مازارات.

لعرج عبد العزيز : "مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المرينيين أبي الحسن بالعباد تلمسان ٧٢٧-٧٤٩هـ/١٣٣٦-١٣٤٨م". مجلة دراسات تراثية. العدد ٢، سنة ٢٠٠٨ ، ص ٥٨.

بالبلد كل المغروس بالكروم وأنواع الثمار و سوره من أوثق الأسوار... و به حمامات نظيفة و من أحسنه و أوسعها حمام العالية... (٢٨).

انشأ أبو الحسن المريني بعد استيلائه على تلمسان في حي العباد مجموعة من المنشآت المعمارية المتكاملة (جامع و ضريح و مدرسة و حمام و مiazza و قصر) (٢٩) وذلك للعديد من الاعتبارات منها التأثير في الناس و الظهور بمظهر الراعي للدين و العلم (٣٠) و حمل بذلك الناس إلى التجاوب معه إذ كثرت في دولة العمارات و امتدت الآمال و إن ما شيد بمنصورة تلمسان لم ير الراوون مثلها ولا وصف الواصفون مثل وصفها، و إن ثريا جامعها تشتمل على ألف مشكاة... (٣١)، إن حي العباد الأثري بجامعه و مدرسته التي بنيت في ٧٥٥ هـ/١٣٧٣ م صورة رائعة للعمران العربي الإسلامي في صورته المغربية الأندلسية فقد بنيت هذه المجموعة المعمارية من طرف المرينيين تكريما لأبي مدين بن شعيب\*.

### التأثير الفني:

ولدت الموسيقى الأندلسية في القرن ١١ م وتطورت بفضل الفنانين و الشعراء الذين نشروها في ربوع الأندلس (كقرطبة و اشبيلية و غرناطة)

(٢٨)العبدري البلنسي . الرحلة المغربية . تحقيق أحمد بن جدو . الجزائر : نشر كلية الآداب ، دون تاريخ ، ص ٩. (٢٩) لعرج عبد العزيز. المرجع السابق ، ص ٦٠. (٣٠) المرجع السابق، ص ٦٩. (٣١) المرجع نفسه، ص ٦٤.

\* أبي مدين بن شعيب: هو الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري ..... تلمسان الموقى ٥٩٤هـ/١١٩٧م ، أصله من اشبيلية ، دفن بتلمسان، بني ضريحه ثلاثون سنة قبل البناءات الأولى لقصر الحمراء ، ذو تصميم مربع يعلوه سقف ذو مبانى مغطى بالقرميد الأخضر.

ودون شك أن من أبرز رموزها زرياب\*\* .

لقد عرف الفن و الموسيقى الأندلسية درجة عالية من الإتقان و الرقي، فهي تحرك الوجدان وتهز المشاعر، إذ تميز هذا النمط الموسيقي من حيث النص و الأداء بالنفيس الحزينة وكذلك الإيقاع البطيء الذي يعكس المعاناة<sup>(٣١)</sup> التي كابدها هؤلاء قبل استقرارهم ببلاد المغرب.

لقد كانت مدينة تلمسان من أهم المدن التي احتضنت و استقبلت و ألهمت شعراءها المحليين فأبدعوا في الموسيقى مثل ابن مسايب و بن تريكي و بن سهلة، و قد مرت الموسيقى الأندلسية في انتشارها ببلاد المغرب بمرحلتين أساسيتين:

(١) مرحلة الموسيقى الإشبيلية من العصر المرابطي إلى غاية العصر المريني.

(٢) مرحلة الموسيقى الغرناطية من الفترة الوطاسية إلى غاية القرن ١٩م.

و يعود الفضل إلى مدينة تلمسان في الحفاظ على كثير من أصول الغناء الأندلسي، إذ عاش بها الكثير من شعراء الأندلس كابن الخميس و غيرهم، و بانتقال الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب ظهرت ثلاث مدارس متميزة :

(١) المدرسة الإشبيلية التي اشتهرت في ليبيا و تونس و التي يتجلى من خلالها نوع المألوف.

(٢) المدرسة الغرناطية التي ازدهرت في الجزائر

**\*\*زرياب:** هو الحسن أبو نافع بن عكي ٧٨٩-٨٥٢هـ، لقب بزرياب ويعني اسم طير أسود اللون عذب الصوت من الموصل، وكان لزرياب اسهامات بارزة في الموسيقى العربية والشرقية. كان شاعراً مُجيداً، وعالمًا ملمًا بمختلف العلوم والآداب حيث إنه كان فلكياً عارفاً بالنجوم ومطلعاً على جغرافية الأرض والبلدان. م يكتف زرياب بالإبداع في المجال الفني والموسيقي فقط وإنما علم الناس أناقة الملبس وتنويعه بين أوقات اليوم

(٣١) الجراري عباس . التأثير الموريسكي في الطرب المغربي . (مطبوعات أكاديمية . المملكة المغربية ، سلسلة الندوات ، شتنبر ٢٠٠٠)، ص ٢٠٧.

وتلمسان.

(٣) مدرسة بلنسية التي ازدهرت في المغرب الأقصى إلى جانب المدرسة الغرناطية.

اتخذ هذا النوع من الفن الموسيقي أشكالاً و أسماء مختلفة إذ يعرف بالآلة في المغرب الأقصى التي تعني الأداة في شكلها التام ، و بالصنعة في الجزائر و تلمسان أي العمل المتقن و بالمألوف في قسنطينة ، تونس و ليبيا و لذلك تخير أن :

• **الأول جاء من التأليف.**

• **الثاني جاء من ألف سمعه.**

أسهم الأندلسيون في تنشيط الحياة الفنية، فقد نقلوا الموشحات و الأزجال الأندلسية، فأحيوا المدايح النبوية و قصائد المدح و الغزل و وصف الطبيعة التي تعرفها الأجواق في المواسم و الأعياد و السهرات العائلية ، من أشهر ناظمي هذه الموشحات في الجزائر أبو العباس أحمد بن عمار الأندلسي الجزائري الذي تولى إفتاء المالكية ١١٨٠هـ/١٧٦٦م<sup>(٣٢)</sup> صاحب غلة الحبيب في الرحلة إلى الحبيب و لواء النصر، و محمد بن الشاهد الأندلسي الجزائري ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م<sup>(٣٣)</sup> وعمر بن سيدي على الأندلسي متولي القضاء الحنفي ١١٦٣هـ/١٧٥٠م.

و من الآلات الموسيقية الأندلسية التي أدخلت على الموسيقى الجزائرية كالربابة ذات الوترين والعود<sup>(٣٤)</sup>، و يعتمد على الآلات الوترية ( مثل الرباب و العود) و آلات الإيقاع<sup>(٣٥)</sup> أي اعتمادها على الأداء الآلي القائم على الوترية و قد تطرق

(٣٢) سعيدوني ناصر الدين . المرجع السابق ، ص ١٤٠.

(٣٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٠.

(٣٤) أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (١٦-٢٠م) الجزء الثاني، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ١٩٨١) ، ص ٤٥٧.

(٣٥) جراري عباس : "التأثير الموريسكي في الطرب المغربي". ص ٢٠٦.

(مطبوعات أكاديمية . المملكة المغربية ، سلسلة الندوات،  
سبتمبر ٢٠٠٠).

الشطشاط علي حسين . نهاية الوجود العربي في الأندلس،  
(القاهرة: دار أنباء للطباعة و النشر، ٢٠٠١).

– العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو،  
(الجزائر : نشر كلية الآداب ، دون تاريخ).

– الناصري أحمد بن خالد. كتاب الاستقصاء لأخبار دول  
المغرب الأقصى. الجزء الرابع ، تحقيق أحمد الناصري. (الدار  
البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠١).

– طقوش سهيل محمد . تاريخ المسلمين في الأندلس . (بيروت  
: دار النفائس ، ٢٠١٠).

– طيان ساهد شريفة: " النحاسيات في الجزائر خلال العهد  
العثماني "، مجلة آثار، العدد ٠٨ ، سنة ٢٠٠٩.

– سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية. نظاهر التأثير  
الأيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر. (بيروت: دار الغرب  
الإسلامي، ٢٠٠٣).

شويتام أرزقي. المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد  
العثماني ٩٢٦-١٢٤٦هـ / ١٥١٩-١٨٣٠م، (الجزائر: دار  
الكتاب العربي، ٢٠٠٩).

– شيارو عصام محمد . الأندلس من الفتح العربي المرصود  
إلى الفردوس المفقود (٩١-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م) .  
(بيروت : دار النهضة العربية، ٢٠٠٢).

– لعرج عبد العزيز : "مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان  
المرينيين أبي الحسن بالعباد تلمسان ٧٣٧-٧٤٩هـ / ١٣٣٦-  
١٣٤٨م". مجلة دراسات تراثية. العدد ٢، سنة ٢٠٠٨.

– يحيى بن خلدون . بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد،  
الجزء الثاني، تحقيق عبد الحميد حاجيات، (الجزائر،  
١٩٨٠).

– Anonyme. L'Artisanat algérien. (Alger : ANEP,  
1997).

– Brahim Denise : « Quelques jugements sur les  
maures andalous dans les régences Turques au  
XVII<sup>e</sup> siècle ». R.H.C.M. Alger , Juillet 1970.

– Devoulx, A : « La batterie des Andalous à Alger  
». Revue Africaine, N° 13, 1869.

Sinan – chaouch. Fondation de la régence  
d'Alger. Histoire des frères Barberous « Arroudj  
et – Kheir-Ed-Din ». Traduction de Jean-Michel  
Venture de paradis. (Alger : Grand Alger du  
Livre), 2006.

الأستاذ الجراري إلى عدد النوبات\*. النوبة عبارة  
عن مجموع المكونات النصية و التي يتشكل منها  
العمل الموسيقي في نظام تركيب معقد و منضبط.  
بالرغم من أن التأثير الثقافي يحتاج غلى وقت  
طويل ليتسرب في داخل المجتمعات لتنصهر  
و تتفاعل مع الوسط الجديد إلا أن الموسيقى  
الأندلسية تغلغت بسهولة في المجتمع الجزائري  
شرقاً غرباً و وسطاً و يعود ذلك إلى استمرار حبل  
التواصل بين بلاد المغرب الإسلامي، و الأندلس،  
بالإضافة إلى القرب الجغرافي ناهيك عن موجات  
الهجرة الأندلسية المتتالية دون أن ننسى العامل  
النفسي و هو التعاطف مع الأندلسيين في معاناتهم  
و محنتهم. و لا زالت إلى يومنا هذا الموسيقى  
الأندلسية تحتل فضاء مميذا.

ختاماً يمكن القول إن الهجرة الأندلسية إلى  
الجزائر أتت ثمارها و آثارها الايجابية على  
مختلف الأصعدة ، ففي الوقت الذي أحييت فيه  
قرى و أنشأت قرى و مدن جديدة قابلها خراب  
و اختفاء قرى أندلسية في شبه الجزيرة الأيبيرية،  
فقد أثرت هذه الفئة بعد اندماجها مع البلدية في  
حياة سكان الحضر، فطبعوا المدينة بطبائعهم.

### ثبت المصادر و المراجع

– أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي من القرن العاشر  
إلى الرابع عشر هجري (١٦-٢٠م)، الجزء الثاني، (الجزائر:  
الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ١٩٨١).

– التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب  
الإسلامي خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي.  
(بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٣).

– الجراري عباس، التأثير الموريسكي في الطرب المغربي،

\*- النوبات: هي الأصهبان ، الحجاز الكبير ، الحجاز  
الشرقي ، العشاق ، مائة، رمل المائة، الرصد، غربية  
الحسين، رصد الذيل، عراق العجم، الاستهلاك الذي يبذو  
من اضافات المغاربة.

أنظر: الجراري . المرجع السابق، صص ٢٠٦، ٢٠٨.